المحاضرة الأولى:

في البداية نشير إلى أن العلاقات الدولية كحقل من حقول المعرفة بدأ في بداية القرن العشرين، ويهتم في الأساس بدراسة العلاقات بين الدول والتفاعل بين الفواعل في إطار النظام الدولي. كما أن علم العلاقات الدولية يركز على التفاعلات بين الدول و لا يعتبر بذلك فرع من فروع العلوم السياسية فقط بل أنه يصبح مزيج من الاقتصاد والجغرافيا والتاريخ و علم النفس، وتدخل العلاقات الدولية في إطارها. لماذا؟.

لأنه لكي يتم دراسة العلاقات بين أي دولتين لابد وأن يتم طرح عدة تساؤلات:

إلى هل يوجد جوار جغرافي بينهم أم لا؟ ما هو تاريخ العلاقات بينهم؟ القرب أو البعد الجغرافي بينهم؟ توازنات القوى بينهم؟ وهنا نتعرض بالضرورة إلى القدرات العسكرية والاقتصادية بينهم.

إذا العلاقات الدولية حقل شامل وعام يدرس أبعاد كثيرة للعلاقات الدولية تدخل في إطارها علوم فرعية.

و جدير بالذكر أن حقل العلاقات الدولية ليس من الحقول القديمة بل هو حديث نسبيا وكان أول قسم للعلوم السياسية أنشء في جامعة ويلز في بريطانيا عام 1916م، بعد الحرب العالمية الأولى.

في أوائل العشرينيات أقامت مدرسة لندن للاقتصاد London School of Economics قسماً خاصاً بالعلاقات الدولية وكان ذلك أول قسم معتمد ومتبلور وكان يطرح فكرة نظرية العلاقات وطرح حقل العلاقات الدولية كحقل معرفي أساسي جدير بالبحث والتنظيم.

بالرغم من أن عمر هذا الحقل ليس بعيداً إلا أنه إذا نظرنا إلى تاريخ العلاقات الدولية نجد أنها موجودة حتى أن المؤرخين تعرضوا للتفاعلات بين الدول، إذا كبلورة حقل هي حديثة إلا أنها موجودة منذ الأزل كممارسة. أي أن العلاقات بين دولتين هي علاقات دولية.

أولاً: مفهوم نظرية العلاقات الدولية:

هي عبارة عن موضوع يهتم بدراسة المفاهيم والنظريات التي حاولت تفسير الأحداث والظواهر الدولية، منذ الحرب العالمية الثانية. و قد عرف التنظير في ميدان العلاقات الدولية عدة أعمال واجتهادات لكن إلى يومنا هذا لا يوجد اتفاق على تنظير شامل و موحد، في ظل هذه المعطيات سوف نحاول عن طريق دراسة مادة نظرية العلاقات الدولية تحقيق الأهداف التالية:

1. فهم أهم المصطلحات النظرية المتعلقة بالموضوع.
2. فهم موضوع العلاقات الدولية بطريقة أكثر علمية وعملية عن طريق ربط موضوع أو ظاهرة العلاقات الدولية بالتنظير.
3. دراسة وفهم أهم المدارس التي حاولت تفسير وتحليل التحولات والتفاعلات الحادثة على المستوى الدولي.
4. معرفة أهم المفكرين الذين حاولوا التنظير في ميدان العلاقات/د، مع التطلع على أهم الأعمال الأكاديمية التي أنجزت في هذا المجال.
5. تقسيم أهم الاجتهادات النظرية بالكشف عن مدى نجاعة هذه الأطروحات النظرية في تفسير التغيرات الدولية الراهنة.

ثانياً: تحديد المصطلحات والمفاهيم العلمية:

أثناء التنظير في ميدان العلاقات الدولية، يستعمل الباحث عدة مصطلحات علمية من أهمها: النظرية، المنهج، الاقتراب، المقاربة....

رغم الترابط الكبير الموجود بين هذه المصطلحات، إلا أنه يوجد اختلافات جوهرية في المعاني العلمية لكل مصطلح، وبما أن عنوان المادة هو: نظرية العلاقات الدولية.

فأول مصطلح نتطرق إليه هو مصطلح: النظرية.

1- النظرية: مصطلح يوناني الأصل مشتق من كلمة «Theorein» التي تعني عملية الملاحظة، و وجود عملية الملاحظة في معنى أو تعريف النظرية يدل على أن النظرية عبارة عن مجموعة مترابطة من المسلمات والمفاهيم المتعلقة بظاهرة خضعت لمراحل التجربة العلمية.

فالملاحظة، التنبؤ، الاختبار، والنظرية ليست فرضية أو افتراض بل هي أشمل، أقوى وأدق من الفرضية.

الفرضية: عملية تنبؤ لوجود علاقة بين المتغيرات المكونة لظاهرة بدون إخضاع الظاهرة للاختبار أو التجربة، فالنظرية هي عبارة عن إطار منظم من المفاهيم والمسلمات التي تحدد وتفسر طبيعة العلاقة الموجودة بين المتغيرات المكونة للظاهرة، ينشأ هذا الإطار من براهين وأدلة علمية وعملية خضعت للاختبار والتجربة، تتميز النظرية عادة بوجود علاقة سببية أو حتمية متعلقة بالموضوع أو الظاهرة محل الدراسة، هذه العلاقة الحتمية تعتمد على مبدأ:

إذ- إن، If-Then.

سيؤدي حتما معنى هذا أن النظرية هي عبارة عن إطار منظم من المفاهيم والمسلمات التي تفسر الظواهر استنادا إلى القاعدة السببية الحتمية التالية:

إذا توفرت معطيات وشروط معينة فإنها حكم الاختبار والتجربة ستؤدي حتما إلى نتائج ومعطيات معينة.

2- الاقتراب(المدخل): بواسطة الاقتراب أو المدخل يحاول الباحث أن يقترب إلى موضوع أو ظاهرة معينة، معنى هذا أن الاقتراب هو مجموعة من الأفكار والمفاهيم المستخدمة من أجل التعامل مع ظاهرة معينة أو موضوع معين، فلتفسير ظاهرة معينة يميل الباحث إلى اختيار مجموعة معينة من المفاهيم والأفكار التي توجه الباحث أثناء التعامل مع الظاهرة، يسمى هذا الإطار من المفاهيم والأفكار بـ: الاقتراب.

ما هو الفرق بين النظرية والاقتراب؟

يكمن الفرق في أن النظرية أكثر دقة وعلمية من الاقتراب لأن هذا الأخير هو عبارة عن مجموعة من المبادئ والفرضيات المعينة والتي تحاول تفسير طبيعة العلاقة الموجودة بين المتغيرات المكونة للظاهرة بدون الارتكاز على علاقة الاستيراد

3- النموذج المعرفي PARADIGM:

أول من أستعمل مصطلح «Paradigm» في ميدان المجال العلمي هو المفكر الأمريكي «Thomas kuhn» في كتابه «The Structure of Scientific Révolution» «Paradigm»هو عبارة عن مجموعة متجانسة من المعتقدات، النظريات، الاقترابات، القوانين، المناهج يشترك فيها

ويؤمن بها أعضاء مجتمع علمي معين في فترة زمنية معينة، هذا التعريف يدل على وجود تشابه كبير بين مصطلح «المدرسة» وال«Paradigm»، التشابه الأول أن المداول العلمية لكل منهما هو أشمل من المدرسة، وكلاهما يرمز إلى مجموعة القناعات التي تجمع بين أفراد مجموعة علمية في ميدان معين وفي فترة زمنية معينة، لهذا هناك توجهات نظرية في العلاقات الدولية قسمت بالمدرسة وبال«Paradigm» في نفس الوقت.

مثلا: التوجه الواقعي تسمى بالمدرسة وبال«The Realist Paradigm» منظروا هذه المدرسة يشتركون في الإقتناعات العلمية التالية:

-التركيز على الدول كفواعل أساسية في العلاقات الدولية، و اعتبار القوة والمصلحة كعوامل محركة، هناك كذلك عدة نظريات تدخل في إطار المدرسة الواقعية كنظرية «الفوضى»، «نظرية الدولة»، «نظرية توازن القوى» وهناك كذلك مجتمع علمي ينتمي إلى هذه المدرسة كـ«Hans Morganthau»، «Jhon Herz» «Eduard Can» كما هناك أيضا مؤسسون قدامى مثل: «Thucydide Machivel».

فاستعمال الـ«Paradigm» من طرف «Thomas kuhn » كان موجه أساسا لميدان العلوم الطبيعية، في نظره الـ«Paradigm» يمكن أن ينشأ من جذور ميتافيزقية ففي نفس الكتاب تصور «Thomas kuhn» بأن الثورة العلمية هي عملية يتم من خلالها تعويض الـ«Paradigm» القائم بآخر جديد، كل هذه المعطيات التي قدمها«Kuhn» هي غير قابلة للتطبيق في ميدان العلاقات الإنسانية والاجتماعية.